# مقاربة اللسانيين العرب المحدثين للنسق الزمني في اللغة العربية
# (المنهجان الوصفي والتوليدي نموذجا)

محمد قاري
طالب دكتوراه: مكونة النص والمناهج
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة نواكشوط

**الملخص**

نحاول في هذا المقال تعميق النظر في تصور بعض اللسانيين العرب المحدثين للزمن في اللغة العربية، متخذين من مقاربات المنهجين الوصفي، والتوليدي نموذجا؛ وذلك لكونهما - في تصورنا -أهم الاتجاهات اللسانية النسقية التي تناولت الإحالة الزمنية؛ لذا نحاول تبين ما أغنت به تصوراتهم مبحث الزمن في اللغة العربية، بعد المقاربات النحوية القديمة، والتناول الاستشراقي.

**الكلمات الدالة:** الزمن، المنهج الوصفي، المنهج التوليدي، الإحالة الزمنية.

**The approach of contemporary Arab linguists to tense reference in the Arabic language**
**(Descriptive and generative approaches as a model)**

**Abstract**

In this article, we attempt to deepen our consideration of some contemporary Arab linguists' perception of the tense structure in the Arabic language, taking the descriptive and generative approach as a model. This is because it is - in our view - the most important linguistic trends that deal with tense reference. Therefore, we are trying to determine the extent to which their perceptions enrich the study of tense in the Arabic language, following the old grammatical approach and the Orientalist approach.
**Keywords**: tense, descriptive approach, generative approach, tense reference.

## 1 . الاتجاه الوصفي ونقد التصور النحوي العربي:

انطلق الاتجاه الوصفي في السياق العربي من المسلمات ذاتها التي تأسست عليها الوصفية الغربية، ومن بينها: نقد للتراث النحوي، وهو ما نلحظ حضوره في أغلب الدراسات الوصفية العربية، كما نجد في نقد إبراهيم السامرائي لتناول النحاة للفعل، حيث يقول: « وقد بدالي أن هذه المادة [يقصد الفعل] قد شغلت حيزا كبيرا في كتب النحويين الأقدمين ورسائلهم. غير أنهم على شدة اهتمامهم بالفعل قد شغلوا أنفسهم بمباحث أبعد ما تكون عن العلم اللغوي، كما أدى بهم ذلك إلى إهمال مسائل كثيرة لم تدخل في منهجهم الذي رسموه لأنفسهم»[1].

وقد قاد الوصفيين تصورهم الناقد للنحو العربي إلى حمل شعارات تجديدية تروم تجاوز الهنات والنقائص التي اعتورت ذلك النحو، وتروم بناء نحو جديد للغة العربية يتبنى "العلمية" التي

[1] إبراهيم السامرائي. الفعل زمانه وأبنيته، دار الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت، ط 3، 1983م، ص: 4.

تتأســس على معايير علم اللغة الحديث، لا ســيما الاتجاه البنيوي الســائد حينها، حيث يعتبر اســتنبات هذا الاتجاه في التحليل اللغوي بثا لأنفاس جديدة «في لغة وصــفت بجهاز نحوي قديم استمر أزيد من اثني عشر قرنا، ولم يكد يعرف تغييرا جوهريا»[1]

وإذا كانت الدراسات الوصفية العربية سايرت الوصفية الغربية في الأسس والتناول، فإن حضور آراء المســتشــرقين كان جليا في بعض التصــورات العربية عن الزمن، كما نجد لدى مهدي المخزومي، الذي ينطلق من آراء المستشرق وليام ورايات؛ فيقول: «[...] ومؤدى هذا أن العربية إذا أرادت التعبير عن الماضي المطلق، والماضي التام، والماضي غير التام، لم تجد من الأبنية إلا بناء (فعل) للتعبير عما لا يعبر عنه في الإنجليزية إلا بعدة صــيغ، وإذا أرادت التعبير عن المستقبل باختلاف مجالاته الزمنية لم تجد إلا بناء (يفعل) للتعبير عن الحاضر والمستقبل، وهذا يعني أن العربية قد أهملت المجالات الزمنية التي يتضـمنها الزمن الواحد[...] وقد صـرح (رايت) بهذا في قوله:" إن كلمتي (ماض) و(مستقبل)، وهما الكلمتان اللتان أطلقتهما كتب النحو القديمة على هاتين الصيغتين لا تنطبقان انطباقا دقيقا على الأفكار التي تتضمنها»[2].

ويذهب المخزومي إلى أن رايت لم ينتبه إلى ضرورة عدم الخلط بين الزمن الذي تفرزه المعطيات اللغوية العربية، وبين ما يسنده النحاة لتلك المعطيات من وصف غير مكتمل، فيقول: «وإذ رأى (رايت) ما قصـر فيه جهد النحاة من ملاحظة الأفعال في الاستعمالات ظن هذا هو واقع اللغة، وواقع استعمالات الفعل العربي، وفاته ما فات القدماء أيضـا من نظر إلى تعبيرات مختلفة طاها إهمال النحاة وخلطهم فيها»[3].

ومع ذلك يســجل المخزومي ملاحظة مهمة لورايت تتعلق بالزمن في اللغات الســامية، وتنطبق على اللغة العربية، هي أن «العلاقات الزمنية هي نفسها التي تحدد المجال الزمني الذي يقع فيه الفعل التام وغير التام [...] سواء كان ذلك الزمن ماضيا، أم حاضرا، أم مستقبلا»[4] أي أن الفعل الماضـي أو المضـارع ليس له في حد ذاته أي صـلة بالعلاقات الزمنية، بل إن سياقه المحيط به

---

[1] امحمد الملاخ، الزمن في اللغة العربية بنياته التركيبية والدلالية، الدار العربية للعلوم ناشــرون، دار الأمان، منشورات الاختلاف، ط 1، الرباط، 2009، ص 44، نقلا عن عبد السلام المسدي والهادي الطرابلسي، الشرط في القرآن، ص ص 7-8.

[2] مهدي المخزومي، *في النحو العربي نقد وتوجيه*، دار الرائد العربي، ط 2، بيروت، لبنان، 1986م، ص: 145 - 146

[3] المرجع السابق، ص: 147.

[4] المرجع السابق، ص: 145.

الذي تحدده الروابط، وأدوات النفي، والشـــرط، والظروف...هو المســـهم الرئيس في خلق إحالة الفعل الزمنية.

كما يرى أن رايت قد يكون على حق في وصـــفه الفعل العربي القديم، الذي لم يعرف غير تينك الصـــيغتين البســيطتين (فعل، ويفعل) المعبر بهما عن وقوع الحدث في أزمان مختلفة، لكن ذلك مظهرا من مظاهر الفعل في مرحلته القديمة، وليس ســمة خاصـــة بالعربية، ولعل اســتقراره فيها عائد إلى عدم اهتمام النحاة بدراســة البنيات والصــيغ المركبة الشــائعة في الاســتعمال (قد فعل، كان قد فعل، كان فعل)[1].

أما إبراهيم السامرائي فينطلق ـ في نقده للتصور الاستشراقي ـ من أن اللغة العربية لا تختلف عن باقي اللغات في تعبير الفعل فيها عن الزمن، لكن وجه الصـــــعوبة في الأمر «أن أبنية الفعل العربي لا تفصح عن الزمان كما تشير إلى ذلك مصطلحاتها [...] وعلى هذا فليس صحيحا أن نكرر ما يقوله جماعة من الباحثين الأعاجم من أن الزمان ليس شــيئا أصــيلا وأن اقتران الفعل العربي به حديث النشأة»[2].

ومع أن السامرائي ينتقد طرح المستشرقين إلا أنه لا يؤسس رأيه على أساس تحلي، ولعل ذلك ما جعله يعود إلى ما ســبق أن اقترحه بعض المســتشــرقون، حين يقوا : «[...] ومن هنا فإن الفعل العربي لا يفصـح عن الزمان بصـيغه، وإنما يتحصـل الزمان من بناء الجملة، فقد تشـتمل على زيادات تعين الفعل على تقرير الزمان في حدود واضـــحة [...] وإننا نســتطيع أن نقرر أن صـــيغة (فعل) وإن دلت دلالات عدة في الإعراب عن الزمان، فهي في أغلب الأحوال تدل على حدث أنجز وتم في زمن ماض، وأن صـيغة (يفعل) تتردد بين الحال والاسـتقبال وإن ذهبت في الاستعمال مذاهب أخرى، وذلك بفضل الأدوات والزيادات التي أشرنا إليها»[3].

ويبدو أن هذا الطرح قريب مما أورده المستشـرق الألماني برجشـتراسـر (G. Bergstrasser) من تميز اللغة العربية عن باقي الســـاميات ب« تخصـــيص معاني أبنية الفعل وتنويعها، وذلك بواســطتين؛ إحداهما: اقترانها بالأدوات، نحو:" قد فعل" و" قد يفعل" و" ســيفعل" وفي النفي:" لا أفعل" بخلاف: "ما فعل" و"لن يفعل"، بخلاف: "لا يفعل" و"ما يفعل". والأخرى: تقديم فعل (كان)

---

[1] المرجع السابق، ص: 148.

[2] إبراهيم السامرائي، الفعل زمانه وأبنيته، مرجع سابق، ص: 23.

[3] المرجع السابق، ص: 24.

على اختلاف صـيغه نحو: "كان قد فعل" و"كان يفعل" و"سـيكون قد فعل" إلى آخر ذلك، فكل هذا ينوع معاني الفعل تنويعا أكثر مما يوجد في أي لغة كانت من سائر اللغات السامية»[1].

ويتضح مما قدمه السامرائي أنه أشار ـــ رغم مآخذه على الطرح الاستشراقي في هذا المنحى ـــ إلى نقص الصيغ على مستوى الإحالة الزمنية، وتكفل السياق المقالي أو المقامي في إنتاج تلك الإحالة، وإغنائها، وهو الطرح نفسه ـ تقريبا ـ الذي قدمه المستشرقون.

ولم يكتف الوصفيون بنقد تصورات من سبقهم في مستويات التعريف، والتقسيم، بل «عملوا جاهدين على اقتراح جداول زمنية تبين غنى الإحالة الزمنية في اللغة العربية استنادا إلى وسائل لغوية كالمساعدات وأدوات النفي والشرط والموجهات مثل الموجه (سوف أو قد) وذلك للرد على من وسم اللغة العربية بفقر نظامها الزمني»[2].

ويبدو أن إبراهيم السامرائي ـــ في نقده ـــ للتصور النحوي التقليدي يوظف مصطلحا أقرب في دلالته إلى الزمان بمفهومه الظرفي الوقتي، الذي تشـير الانجليزية إليه ب (Time) من الزمن بمفهومه اللغوي (Tense) حيث يقول السامرائي في تعليقه على تعريف ابن يعيش للزمن، يقول: «وابن يعيش في هذا القول يذهب مذهبا بعيدا، وهو لا ينهج لهجا لغويا، فكأنه أراد أن يفلسف المسألة اللغوية، وهي لا علاقة لها بالنظر العلمي، وكأن النحوي لم يرد استقراء العربية لمعرفة إعراب الفعل عن الزمان، بل إنه اهتدى إلى هذه الناحية من تأمله في الزمان الفلكي، ويبدو أنهم لم يستقرئوا العربية استقراء وافيا ليتبين لهم طرائق استعمال الفعل، وأن كل ما فطنوا له هو اتفاقهم على أن الفعل من الأحداث المقترنة بزمان ما، غير أنهم لم يعطوا إيضاحات عن حدود هذا الزمان»[3] فتوظيف السامرائي مصطلح "الزمان" قربه أكثر من التصور الوجودي أو الفلكي الذي كان يسعى إلى تجنبه.

ويبدو أن كلا من السامرائي والمخزومي يرى أن الإطار العاملي الذي وجه المنوال النحوي العربي كان له أثره في تشتيت دراسة طرق الإحالة الزمنية بين أبواب النحو العربي، ذلك أن النحاة لم يدرسوا الفعل و« يتناولوه إلا فيما يتعلق بكونه يؤثر في الاسم ويعمل فيه، لأنه أقوى

---

[1] برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية، ترجمة رمضان عبد التواب، لقاهرة، مكتبة الخانجي، ط2، 1994م، ص: 89.

[2] امحمد الملاخ، الزمن في اللغة العربية بنياته التركيبية والدلالية، مرجع سابق، ص: 46.

[3] إبراهيم السامرائي، الفعل زمانه وأبنيته، مرجع سابق، ص: 17.

العوامل، ولأنه الأصـــل في العمل »[1] فـ« قد اهتموا بالعلة والعامل وما يترك العامل من أثر، وهو ما دعي بالإعراب، ولذلك لم يولوا مسألة الدلالة الزمنية حقها»[2].

ومع وجاهة ملاحظة توزع الأدوات المســهمة في بناء الإحالة الزمنية على أبواب النحو العربي، وعدم وجود مبحث نسقي لتلك الإحالة، إلا أن ضبابية الحدود بين الزمنين الفلكي واللغوي ظلت حاضـرة في التصـور أعلاه، ولعل ذلك ما دفع تمام حسـان في مسـتهل مبحث "الزمن والجهة" يحاول التمييز بين الزمن النحوي، والزمان.[3]

ويوضح تمام حسان تصوره قائلا: « وأوضح ما يفرق بين الزمن والزمان أن الزمان كمية رياضية من كميات التوقيت تقاس بأطوال معينة كالثواني والدقائق [...] فلا يدخل في تحديد معنى الصـــيغ المفردة ولا في تحديد معنى الصـــيغ في الســـياق ولا يرتبط بالحدث كما يرتبط الزمن النحوي، إذ يعتبر الزمن النحوي جزءا من معنى الفعل[...] وإذا كان النحو هو نظام العلاقات في السـياق، فمجال النظر في الزمن النحوي هو السـياق وليس الصـيغة المنعزلة، وحيث يكون الصـرف هو نظام المباني والصـيغ يكون الزمن الصـرفي قاصـرا على معنى الصـيغة يبدأ بها وينتهي بها، ولا يكون لها عندما تدخل في السياق»[4]

وهكذا قادت أصحاب التوجه الوصفي اعتراضاتهم إلى محاولة استقراء الدلالة الزمنية للصيغ في السياق التركيبي، وذلك من أجل تدارك ما اعتبروه قصورا في التصور النحوي، وللرد ـــ كذلك ـ على آراء المسـتشـرقين التي تنكر زمنية اللغة العربية؛ لذلك حاول السـامرائي جرد اسـتعمالات" فعل" فأورد لها أربعة عشر استعمالا[5] و"يفعل" التي ذكر لها تسعة استعمالات[6] بينما خطا تمام حسـان خطوة أخرى حين أدخل مفهوم الجهة، دون أن يسـتثمره اسـتثمارا يجعل منه أداة لقياس الزمن الداخلي للفعل، وامتداده الحدثي.

ويتضـــح أن الوصـــفيين لم يتخلصـــوا من ثقل الإرث النحوي، الذي ظل يطفو على صـــفحات مقارباتهم، ســـواء من حيث المعطيات التمثيلية التي لم تخرج عما أورده النحاة، أو من حيث

---

[1] مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، مرجع سابق، ص: 141.

[2] المرجع السابق، ص: 18.

[3] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، الدار البيضاء، المغرب، دار الثقافة، 1994م، ص: 240.

[4] المرجع السابق، 242.

[5] إبراهيم السامرائي، الفعل زمانه وأبنيته، مرجع سابق، ص: 28 ـ 30.

[6] المرجع السابق، ص: 31 ـ 33.

بعض التأويلات الزمنية، كما أن التقليد الاستشراقي وجد صداه في منهجهم الاستقرائي، حيث كان السامرائي سائرا في ظلال هنري إفليش وكانطترينو؛ مما يعني أن المقاربات الوصفية ظلت تتنازعها سلطة النحو العربي، وتقليد الاستشراقي، وإن حاول أصحابها انتقاد من سبقوهم، ويمكن تلخيص جملة ملاحظات على هذا الاتجاه منها:

ـــ غياب مفهوم الجهة كمفهوم واصف للنسق الفعلي العربي، وإن حضر لدى تمام حسان إلا أنه لم يستثمره إجرائيا، ولعل حرصهم على إظهار غنى الإحالة الزمنية للغة العربية ردا على المستشرقين، هو ما حدا بهم إلى تغييب الجهة عن وصف النسق الزمني للفعل العربي.

ـــ اهتمامهم بالأبعاد الاستقرائية، والجرد المسحي بطريقة وصفية اعتباطية، دون استنباط نسقية حاكمة لتلك الاستعمالات، ومحاولة صياغة تعميمات إجرائية؛ لذا « لم تستطع محاولاتهم أن ترقى إلى بناء النسق الزمني العربي، ما دامت الأدوات النظرية لبناء هذا النسق والمفاهيم المؤسسة على نظريات واضحة للزمن غائبة لديهم»[1]

ـــ اعتمادهم تخصيصا أحاديا للقيم الصرفية للفعل، خلافا لما يمتاز به الفعل العربي من التباس، عبر عنه عبد القادر الفاسي الفهري بقوله: «ليس الفعل جذعا تلصق بهي وحدة صرفية تنضاف خطيا إلى صورة فعل غير متصرف، بل إن الجذع الفعلي في العربية يكون دائما متصرفا محتويا على الزمن (Tense) والجهة(Aspect) وكذلك البناء (Voice) وهو يدل أيضا على الوجه(Mood)»[2]

### 2 . الاتجاه التوليدي واستثمار الكليات اللغوية:

تأسس الاتجاه التوليدي التحويلي على أنقاض البنيوية، فنحى بالبحث منحى مغايرا، حيث تغيرت الوجهة من الاهتمام بالوصف وما يقوم عليه من استقراء المادة اللغوية وتحليلها وتصنيفها إلى الوصف والتفسير في الآن ذاته، والبحث عن صياغة قواعد عامة (كليات) تحمكم سائر اللغات.

---

[1] امحمد الملاخ، الزمن في اللغة العربية بنياته التركيبية والدلالية، مرجع سابق، ص: 49.

[2] عبد القادر الفاسي الفهري، البناء الموازي الموسع نظرية توليدية جديدة، كنوز المعرفة، ط1، 2018م، ص: 49.

وقد انشـد كثير من الباحثين إلى هذا الإبدال المنهجي الجديد، فعرف طريقه إلى ثقافات عديدة، وكان للثقافة العربية نصـيبها من ذلك، «بحيث عرفت النظرية التوليدية طريقها إلى ثقافتنا في بداية السبعينيات من القرن العشرين، كما عرفت تطبيقات مهمة على اللغة العربية»[1]

وتحتل دراسـة الخصـائص الجهية والزمنية للأفعال والصـفات حيزا مهما في دراسـة اللسـانيين التوليدين، كما نجد لدى عبد القادر الفاسـي الفهري (البناء الموازي الموسـع نظرية توليدية جديدة...)، وأحمد الباهي (التأويل الزمني في اللغة العربية)، وماهر بهلول ( Structure and function of the arabic verbe)، وعبد المجيد جحفة (دلالة الزمن في العربية: دراسـة النسـق الزمني للأفعال)، وإمحمد الملاخ (الزمن في اللغة العربية: بنياته التركيبية والدلالية)[2]

وسنكتفي بتناول دراسات عبد القادر الفاسي الفهري لمبحث الزمن؛ باعتباره من أبرز اللسانيين التوليديين عموما، ولاتسام مقاربته بالشمولية، ومواكبة اللسانيات التوليدية في أطوارها المختلفة، حيث ينطلق من «طرح قضـايا تحديث الآلة الواصـفة لمعطيات اللغة العربية، وذلك بالانخراط في مستجدات الأسئلة التي أفرزها الخطاب اللساني الغربي، والتوليدي منه بشكل خاص»[3] كما أن جزءا مهما من الأعمال التي تناولت هذا المبحث من منظور توليدي قدمها طلاب الفهري، وأشرف على تنسيق بعض منها، وأسهم في بعض آخر.

مثلت دراسة الإحالة الزمنية جزءا مهما من الإشكالات التي كانت مرتكز أعمال الفاسي الفهري[4]؛ فمنذ «كتاب Issues (انظر الفاسـي 1991 -1993)، نجده يركز على معالجة إشكالين أساسيين

---

[1] حافظ اسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، دار الكتب الجديدة المتحدة، ط 1، 2009م، ص: 261.

[2] للمزيد من التفصيل، يمظر: امحمد الملاخ، «مجلة مقاربات"، مقاربات النسق الزمني للغة العربية دراسة تقويمية 2014م، ص: 123 - 131.

[3] حافظ اسـماعيلي علوي، اللسـانيات في الثقافة العربية دراسـة تحليلية نقدية في قضـايا التلقي وإشـكالاته، مرجع سابق، ص: 282.

[4] نقصد كتبه:. البناء الموازي (نظرية في بناء الكلمة وبناء الجملة) دار توبقال للنشر 1990م

– Issues in the Structure of Arabic Clauses and Words. Kluwer Academic Press 1993

- المقارنة والتخطيط في البحث اللساني العربي، دار توبقال للنشر 1998م

- عن الماضي والاكتمال والتدرج أو لماذا ليست اللغة العربية لغة جهية، ضمن كتاب: البنى الزمنية وأشكالها، معهد الدراسات للأبحاث والتعريب 2000م

- زمن اللغة، ضمن كتاب: سمات الفعل وطرق بنائها، معهد الدراسات للأبحاث والتعريب 2004م

يتعلقان بالزمن والجهة، وهيكلتهما. هذان الإشـــكالان هما من جهة إشـــكال الإحالة الزمنية (Tense reference) ومن جهة أخرى إشـــكال الزمن كعنصـــر علاقي، معارضـــة مع الجهة (Aspect)»[1].

شـــكل كتاب Issues محطة مهمة لإيضـــاح المعالم الكبرى للنظام الزمني في اللغة العربية من منظور توليدي، حيث قام على محاور أساسية منها:

1. ـــــ استجلاء التقابل بين الشكلين الفعلين في العربية: زمني أم جهي؟ مع محاولة صـــياغة الروائز التركيبية والصـــرفية والدلالية، التي يمكن الركون إليها في تحديد طبيعة هذا التقابل، وكان الفاسي الفهر ـ في ذلك ـ مراجعا لما رسخته أعمال المستشرقين حول جهية اللغة العربية، حتى بات الأمر شبه مسلم به بين الدارسين.

ويفصح الفهري عن محاججته للطرح الغربي عموما، والتقليد الاستشراقي خصوصا، فيما يتعلق بجهية اللغة العربية، فيقول: «أريد أن أقوم ببناء استدلال بسيط لأؤكد أن النظام الزمني العربي مبني على الماضـــي أســـاســـا. وهذه النتيجة قد تبدو بسـيطة، بل تافهة، ولكن الأمر ليس كذلك، وخصوصا إذا نظرنا إلى كثير من الأدبيات الغربية، التي عدت اللغة العربية لغة جهية»[2].

ويذهب أبعد من ذلك؛ فيعتبر أن الإرث الاستشراقي كان مسؤولا عن الاضطراب المصطلحي في وصـــف النســـق الزمني للفعل العربي، حيث أنه «من الأخطاء الاصـــطلاحية التي أشـــاعها ورايت (1958) Wright أو Caspari من بين آخرين، مصـــطلح (Imperfective) للدلالة على صيغة المضارع، وهناك من يتحدث عن (Imperfect) وهو شيء مختلف، ولكنه غير صالح كذلك»[3].

2. جرد عناصـــر النظام الزمني، أي المكونات التي تتفاعل لتســـهم في بناء الإحالة الزمنية في اللغة العربية، متمثلة في المســـاعدات، والروابط الزمنية، والموجات، والنفي...[4] حيث يتعذر تأويل الإحالة الزمنية تأويلا مسوغا دون أخذ مختلف الأبعاد المسهمة فيها معجميا وتركيبيا.

---

[1] عبد القادر الفاسي الفهري، عن الماض والاكتمال والتدرج أو لماذا ليست العربية لغة جهية، في البنى الزمنية وأشكالها، معهد الدراسات للأبحاث والتعريب، وجمعية اللسانيات بالمغرب، ط1، 2000، ص: 14.

[2] المرجع السابق، ص: 16.

[3] عبد القادر الفاسي الفهري، "عن الماضي والاكتمال أو لماذا ليست العربية لغة جهية"، مرجع سابق، ص: 16.

[4] حول ذلك ينظر: عبد القادر الفاسي الفهري، البناء الموازي نظرية في بناء الكلمة وبناء الجملة، الدار البيضاء، المغرب، دار توبقال للنشر، ط1، 1990م، ص: 80، وكذلك: امحمد الملاخ، مقاربات النسق الزمني للغة العربي دراسة تقويمية، ص 123.

3. محاولة النظر في موسومية الأزمنة، وانعكاس ذلك على السلوك التأويلي للأزمنة، وتخصيص الزمن أو الجهة أو الوجه بسمة موسومة، وقد تبنى الفهري كون الزمن في الفعل العربي يقوم على سمة موسومة زمنيا هي الماضي، في مقابل غير الماضي حيث يقول: «[...] وقد بينا أن النظام الزمني العربي (في الفعل) مبني أساسا على زمن موسوم واحد هو الماضي، يعبر عن علاقة زمنية محددة هي القبلية(Anteriority) وأما الزمن غير الموسوم فيأتي في صيغة المضارع، وهو غير قبلي»[1].

ويؤسس الفهري على ذلك، وانطلاقا من جملة من الروائز أن ادعاءات المستشرقين، ومن سار في فلكهم غير صحيحة، فالصورة المسوغة «بالنسبة للنظام العربي هو أنه كلما دققنا فيه، يتضح لنا أنه نظام زمني أساسا، وليس نظاما جهيا»[2].

4. صياغة هندسة البنى الزمنية المركبة صياغة مثنوية الصرفة، أي أن هندستها عبارة عن زمنين يتحكم أحدهما في الآخر، وليست الأزمنة المركبة ـــــــ كما تصورت بعض الأعمال التوليدية[3] ـ عبارة عن زمن وجهة

ويقدم الفهري جملة من الروائز المقارنة بين العربية والفرنسية والانجليزية، فيبن أنه إذا كان الترج في الانجليزية ذو صرفة تجعله موسوما، كما في المثال [74] فإنه في العربية لا يستخلص من صرفة جهية/زمنية خاصة، بل فقط من جهة الوضع الممعجمة في جذر الفعل، كما يبين المثال [75].

John is knowing the answer [74]

فهذه الجملة عندما تكون مقبولة تعني أن "جون" بصدد معرفة الجواب، وليس أنه عرف الجواب.

[75] كان الولد يأكل

«فإن معنى التدرج يستفاد فقط من معنى الحاضر [...] وفي نفس الاتجاه، وكما حاولت أن أبين في Issues فإن الزمن المركب زمن مزدوج، وليس زمنا وجهة، كما اقترح البعض، علاوة على أنه ليس هناك نظام جهي في اللغة العربية، خلافا لما يقال، فمن الغريب أن نتحدث عن لغة جهية، وهي لغة لا توجد فيها صرفة دالة على التدرج، ولا صرفة دالة على الاكتمال»[4].

---

[1] عبد القادر الفاسي الفهري، عن الماض والاكتمال والتدرج أو لماذا ليست العربية لغة جهية"، مرجع سابق، ص: 14.

[2] المرجع السابق، ص: 28.

[3] ينظر: امحمد الملاخ، "مجلة مقاربات"، مرجع سابق، ص: 125.

[4] عبد القادر الفاسي الفهري،" عن الماض والاكتمال والتدرج أو لماذا ليست العربية لغة جهية"، مرجع سابق، ص: 20.

5. الدفاع عن نسق ثلاثي القيم للصرفة العربية، التي تتفاعل فيها سمات الزمن، والجهة، والوجه، حيث «إن الجذع الفعلي يكون دائما متصرفا محتويا على الزمن (Tense) والجهة (Aspect)، وكذلك البناء(Voice)، وهو يدل أيضا على الوجه (Mood)»[1]

والفكرة أن البنيات الزمنية جميعها بسيطة كانت أو مركبة تسقط مصفوفة زمنية ثلاثية القيم تخصص سماتها بشكل تام، أو تخصص تخصيصا أدنى عندما يكتفى بتخصيص بعضها دون بعض « ويكون السياق متحكما في تنشيط التخصيص التام أو الأدنى»[2].

6. البحث في الخصائص الربطية للأزمة، ويقترن ذلك ببرنامج التوازي بين إحالة الحدود، وإحالة الأزمنة، ودرجة المماثلة أو المخالفة بينهما، ويؤسس الفاسي الفهري استدلاله على مقارنة نظام اللغة الانجليزي ذي الأزمنة المتصرفة الضميرية، خلافا «للعربية التي تستعمل صورة "يفعل" بشكل ملتبس ومرد الالتباس إلى السمات الإحالية للزمن في الأفعال الذي ينشطر إلى زمن ضميري أو عائدي يفصل السياق بينهما»[3].

ونخلص مما تقدم إلى أن عبد القادر الفاسي الفهري سعى في لأعماله إلى مقاربة الإحالة الزمنية في ضوء ما يتيحه التصور التوليدي، وكان ـ في ذلك ـ مؤسسا لتصور يدافع عن زمنية اللغة العربية في سياق مقارن لها باللغتين الفرنسية والانجليزية، ومن منطلق استدلال مؤسس على روائز صرفية، وتركيبية، ودلالية، وهو بذلك ينقض ما أرساه التقليد الاستشراقي من عد اللغة العربية لغة جهية في إطار مقارنتها باللغتين الفرنسية والانجليزية، مبينا أن المعالجات المندرجة في المنحى الاستشراقي إما أنها استخدمت معطيات ناقصة في استدلالاتها أو أولت المعطيات بطرق غير سليمة.

فكان تغيير الصورة النمطية المنتشرة في الأدبيات الغربية والتقليدية وبعض الأعمال التوليدية حول جهية اللغة العربية الدافع لعلاج إشكال الزمن كعنصر علاقي يتقاطع مع الجهة، من خلال تناول التساؤلات حول معرفة متى يمكن تحليل الأزمان على أساس أنها ضمائر (Pronouns)، أو عوائد (Anaphors)، أو عبارات محيلة (Referencial expressions)، «وفقا

---

[1] عبد القادر الفاسي الفهري، البناء الموازي الموسع نظرية توليدية جديدة، مرجع سابق، ص: 49.

[2] امحمد الملاخ، "مجلة مقاربات"، مرجع سابق، ص: 124.

[3] المرجع السابق نفسه، والصفحة ذاتها.

لطرق "إغلاق" أو "إشباع" دلالاتها و/أو إحالاتها»[1]، والتساؤل حول أنواع الجهة من حيث هي إما معجمية ترتبط بجهة الأوضاع(Situation aspect) وإما نحية ترتبط بالبناء (Grammatical aspect) كما أن الفاسي الفهري لم يتناول الزمن تناولا جزئيا يعزل المستويات المسهمة في خلق الإحالة الزمنية عن بغضها بعضا؛ بل كشف آليات التفاعل بين عناصر السلسلة الزمنية (الزمن، والجهة، والوجه) إضافة إلى دراسة أشكال التوزيع التكاملي بين مكونات السلسلة، وتفاعل الزمن والنفي، أو النفي والموجهات...[2] ويبقى أساس النسق الفعلي في العربية زمنيا في العمق، أما التأويلات الجهية، فهي ناتجة عن آثار دلالية أو تركيبية للزمن، يمكن حسابها أثناء تأويل البنى الزمنية. ويبدو أن أعمال الفاسي الفهري كانت موجها أساسا لمن تناولوا مبحثي الزمن والجهة في اللغة العربية، بحيث ظلت تسايره في أغلب ما ذهب إليه، كما نجد في تناول عبد المجيد جحفة[3]، الذي ركز على إشكال تداخل المعلومات الزمنية في صرف الفعل العربي (الزمن، والجهة، والوجه)، وفرز الأشكال الزمنية البسيطة والمركبة انطلاقا مما يتيحه نسق ريشمباخ التمثيلي، والتوازي بين تركيب الزمن والجهة، ولعل من أهم الإضافات في عمل جحفة خوضه في قضايا تنوع الإحالة الزمنية في الأزمنة المدمجة انطلاقا من ثلاث بنيات: بنية الصلة، والحال والجمل الواصفة[4].

وينطلق امحمد الملاخ في كتابه "الزمن في اللغة العربية: بنياته التركيبية والدلالية" في كثير من الأحيان من تصورات عبد الفاسي الفهري، خصوصا في بناء وتخصيص عناصر النظام الزمني، وتمثيل واشتقاق الإحالة الزمنية في تركيب العربية... ولعل من أهم الإضافات في عمل الملاخ تناوله لتخصيص ظواهر الإحالة الزمنية في الخطاب، وإشكالية المنظور الذاتي للزمن، والآثار السياقية التي تنتج عن استعمال الزمن في أنماط الخطابات [5]

---

[1]ناصر الحريص، "حضور اللغة العربية عالميا عبر كتاب: نظرات في بنية الجمل وبناء الكلمات العربية"، في اللغة، المعرفة، السيمياء، التخطيط، والتربية (تكريما لأستاذ الأجيال والخبير اللساني الكبير عبد القادر الفاسي الفهري، الرباط: جامعة محمد الخامس، ط 1، 2014، ص: 69.

[2]ينظر: امحمد الملاخ، "مجلة مقاربات"، مرجع سابق، ص: 124.

[3]للاطلاع ينظر: عبد المجيد جحفة، دلالة الزمن في اللغة العربية دراسة النسق الزمني للأفعال، سلسلة المعرفة اللسانية، الدار البيضاء، المغرب، دار توبقال للنشر، ط1، 2006.

[4]ينظر: المرجع السابق، ص: 157 وما بعها.

[5]لمزيد من التفصيل، ينظر: امحمد الملاخ، الزمن في اللغة العربية بنياته التركيبية والدلالية، مرجع سابق، ص: 453-490.

ويبدو أن الملاخ ـ بإضافته للآثار السياقية ـ خطا خطوة مهمة نحو الوعي بأهمية إدخال البعد التداولي في تناول الإحالة الزمنية تناولا يتأســـس على ما تتيحه البنيات الصـــرفية والتركيبية والدلالية، لكنه يتجاوزها إلى البحث في الســـياقات المقالية والمقامية، وإقامة نمذجة اســـتدلالية تراعي أهمية الأبعاد غير النصية في توجيه وتأويل الإحالة الزمنية.

**خاتمة:**

يتبين من خلال ما قدمنا عن تصـــور الاتجاهين الوصـــفي والتوليدي للبنية الزمنية في اللغة العربية أن كلا من الاتجاهين يرى أن التصـور النحوي القديم ليس كافيا لإنتاج تصـوري نسـقي للزمن؛ لذا لم يتوان الوصـفيون في نقد القسمة الثلاثية التي تكتفي بإسناد قيم دلالية ثابتة لأزمنة الفعل، دون الاهتمام بالتقابلات الجهية المســـؤولة عن قياس البنية الزمنية الداخلية للأحداث، وهو تصـور جارى فيه الوصـفيون التناولات الاسـتشـراقية، وإن ظل النفس البنيوي الملمح الأكثر بروزا في المقاربـة الوصـــــفية، بينما كان المنطلق التوليدي العربي منطلقا يبحث في الكليات اللغوية المشتركة بين الألسنة كلها، مع مراعاة الفروق الطفيفة التي لا تتجاوز مستوى الوسائط؛ وفي هذا المنحى دافعت التوليدية العربية عن ازدواج الصـــرفة في اللغة العربية (الزمن، والجهة، والوجه) وتفاعل هذه المقولات الوظيفية الثلاث ضـــمن بنية تركيبية صـــارمة، تفاعلها في إنتاج وتأويل الإحالة الزمنية.

وقد كان لهذه التصورات دور مهم في إغناء البحث في الإحالة الزمنية في اللغة العربية، وشكلت أساسا بنيت عليها مقاربات أخرى تجاوزت التناولات النسقية إلى الملاءمة السياقية، التي تراعي فاعلية الأبعاد التداولية في اختيار التأويل الزمني الأنسب، كما نجد في بعض أعمال امحمد الملاخ.

**قائمة المصادر والمراجع:**


1. امحمد الملاخ:

ـــ الزمن في اللغة العربية بنياته التركيبية والدلالية، الدار العربية للعلوم ناشرون، دار الأمان، منشورات الاختلاف ط 1، الرباط، 2009م.

ـــــــــــــ مجلة مقاربات"، مقاربات النسق الزمني للغة العربية دراسة تقويمية، 2014م.

2. إبراهيم السامرائي. الفعل زمانه وأبنيته، دار الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 1983م.
3. برجشـتراسـر، التطور النحوي للغة العربية، ترجمة رمضـان عبد التواب، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط2، 1994م.
4. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، الدار البيضاء، المغرب، دار الثقافة، 1994م.

5. حافظ اسـماعيلي علوي، اللسـانيات في الثقافة العربية دراسـة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته، دار الكتب الجديدة المتحدة، ط 1، 2009م.
6. عبد القادر الفاسي الفهري:
ـــــــــــ البناء الموازي الموسع نظرية توليدية جديدة، كنوز المعرفة، ط1، 2018م.
ـــــ البناء الموازي (نظرية في بناء الكلمة وبناء الجملة) دار توبقال للنشر 1990م.
ـــــ المقارنة والتخطيط في البحث اللساني العربي، دار توبقال للنشر 1998م.
ـــــــــ عن الماضي والاكتمال والتدرج أو لماذا ليست اللغة العربية لغة جهية، ضمن كتاب: البنى الزمنية وأشكالها، معهد الدراسات للأبحاث والتعريب 2000م.
ـــ زمن اللغة، ضمن كتاب: سمات الفعل وطرق بنائها، معهد الدراسات للأبحاث والتعريب 2004م.
Issues in the Structure of Arabic Clauses and Words. Kluwer Academic Press 1993
7. عبد المجيد جحفة، دلالة الزمن في اللغة العربية دراسـة النسـق الزمني للأفعال، سلسلة المعرفة اللسانية، الدار البيضاء، المغرب، دار توبقال للنشر، ط1، 2006.
8. مهـدي المخزومي، في النحو العربي نقـد وتوجيـه، دار الرائـد العربي، ط 2، بيروت/ لبنان، 1986م.
9. ناصر الحريص، "حضور اللغة العربية عالميا عبر كتاب: نظرات في بنية الجمل وبناء الكلمات العربية"، في اللغة، المعرفة، السـيمياء، التخطيط، والتربية (تكريما لأستاذ الأجيال والخبير اللساني الكبير عبد القادر الفاسي الفهري، الرباط: جامعة محمد الخامس، ط 1، 2014.